حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يناير– مارس ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

القصة القرآنية ودورها فى هداية البشر (قصة أصحاب الجنة أنموذجا)

نجلاء عبده محمد العدلي *

المدرس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية _ جامعة عين شمس

المستخلص

تنوعت أساليب الهداية في القرآن الكريم؛ لتتلاءم مع اختلاف طبيعة البشر، ومن أساليب الهداية التي أولاها القرآن الكريم عناية خاصة القصة، والقصة القرآنية تتميز بالواقعية، مع الجاذبية في العرض، والعلو في الهدف، والتكرار الذي يكمل أحداثها، ولا يعيد الحدث نفسه، والتركيز على مواضع العبرة والعظة للاهتداء بهما، وعلى مواضع الإثم والغواية لاجتنابهما، وهى من أبلغ أساليب الهداية وأسهلها.

وقصة أصحاب الجنة من القصص المعروفة لدى قريش، وهى قصة تجسد صورة للنفس الإنسانية التى طغى عليها الطمع؛ لدرجة أنستها حق الله، ومن يتهرب من إخراج حق الله يحرمه الله من المال كله، وإذا أراد الله لعبده الخير عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا، والاعتراف بالذنب أول الطريق للتوبة، هذا وقد عالج الدين الإسلامي الشح ومشكلة الفقر بإيجابية غير مسبوقة؛ لم تصل إليها أية حضارة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد

فقد أنزل المولى تعالى القرآن الكريم هداية للعالمين، ومن بلاغة القرآن الكريم أنه لم يعتمد أسلوبا واحدا لإيصال دعوته إلى الناس، فقد تعددت أساليب القرآن، وتنوعت ما بين أسلوب الحوار، وأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب الوعد والوعيد، وأسلوب التربية والتوجيه، إلى غير ذلك من الأساليب، التي لا تخفى على من تأمل كتاب الله تعالى وتدبره.

ومن الأساليب الدعوية التي أولاها القرآن الكريم عناية خاصة القصة؛ وذلك لما فيها من تشويق، وجاذبية في العرض، ومواضع للعبرة والاتعاظ . كما أنها من أكثر الأساليب تأثيرا في نفس الإنسان ووجدانه، ومن أسهلها فهما وحفظا، وخاصة إن كانت مليئة بالعبر الأخلاقية والتربوية كالقصة القرآنية.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، الذي سعدت فيه بالحديث عن القصة القرآنية، ومميزاتها، ثم تناولت قصة من هذه القصص بالدراسة والتحليل، واستلهام مواضع العبر، والدروس المستوحاة منها، ألا وهي قصة (أصحاب الجنة).

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع على النحو التالى :

المقدمة : بينت فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث

المبحث الأول : القصة القرآنية ومميزاتها، ويشمل

- تعريف القصة في اللغة والاصطلاح
- خصائص القصة القرآنية ومميزاتها
- أنواع القصة القرآنية
- أهداف القصة القرآنية

المبحث الثاني : قصة أصحاب الجنة ويتضمن

- التعريف بأصحاب الجنة ومناسبة ذكر قصتهم
- عرض لأحداث قصة أصحاب الجنة

المبحث الثالث : الدروس المستفادة من قصة أصحاب الجنة

- الدرس الأول : ذم البخل والشح
- الدرس الثاني : الرحمة بالفقراء

الخاتمة : رصدت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول
القصـة القرآنية ومميزاتها

وقد تضمن هذا المبحث أربعة مطالب أساسية وهى

١ – تعريف القصة في اللغة والاصطلاح
٢ – خصائص القصة القرآنية ومميزاتها
٣ – أنواع القصة القرآنية
٤ – أهداف القصة القرآنية

أولا : تعريف القصة في اللغة والاصطلاح

تعريف القصة في اللغة :

القصة لغة الخبر، والمقصود بالفعل " قص " تتبع ، ومنه قوله تعالى: ((وقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)) [القصص : ١١] ، أى اتبعى أثره، وقوله تعالى : ((فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا)) [الكهف ٦٤]، أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر أي يتبعانه [١]

والقِصاص بكسر الصاد : تتبع الدم بالقود ومنه قوله تعالى: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [البقرة : ١٧٩]، وقوله تعالى : ((وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)) [المائدة ٤٥][٢]

والقصة هي الأمر والخبر، وقصصت الحديث رويته على وجهه، والمقصود برويته على وجهه: "رويته كما هو بحسن التتبع ودقة التساوي بأن لا يزيد عليه ولا ينقص"[٣]

وتجمع كلمة قصة على " قَصَص و قِصص " بفتح القاف وكسرها، والمقصود بال "قَصَص " بفتح القاف الخبر، ومنه قوله تعالى: ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)) [يوسف : ٣]، أي نبينه لك أحسن بيان، أما القِصص بكسر القاف فهي جمع القصة التى تكتب [٤]

أي أن" القَصص" بفتح القاف هى الأخبار و الروايات التى يتبعها القاص ويرويها، أما " القِصص " بكسر القاف فهي جمع قصة ، وتطلق على من يكتب القصص من خياله ويرويها [٥]

ومما سبق يتضح لنا أن القصة فى اللغة تدور حول عدة معان، وهي تتبع الأثر، وجمع الأخبار وروايتها، وكتابة الأخبار من وحي الخيال وروايتها، أي أن القصة أحداث مروية شفاهية أو مكتوبة، وهى أيضا سرد لأحداث متخيلة أو مستلهمة من الواقع، سواء أكانت معروضة بصورة حقيقية، أم غير حقيقية فى بعض أحداثها.

تعريف القصة فى الاصطلاح :

سَمى القرآن الكريم الأخبار الماضية عن الأمم السابقة قصصا، يقول تعالى: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)) [يوسف ١١١]، **وقد تعددت أقوال العلماء حول تعريف القصة فى الاصطلاح، ومن هذه الأقوال :**

– إن القصة هى" الجزء القرآنى الذي يقص آثار الغابرين وبعض الأحداث الماضية؛ ليقدم منها ما يرى أنه يحقق الغاية، ويفي بالمقصود فى معرضه، فهى تشتمل على الأنباء الحقة التى لا زيف فيها "[٦]

– إن القصة هى " تتبع أخبار ماضية واقعة، وتعرض منها ما ترى عرضه، ومن هنا كانت تسمية الأخبار التى جاء بها القرآن قصصا "[٧]

ويري سيد قطب أن القصة القرآنية هى إحدى وسائل تبليغ الدعوة[٨] وتثبيتها فى القرآن الكريم، شأنها شأن مشاهد يوم القيامة، وصور النعيم والعذاب، وشأن الأدلة التى ساقها الله تعالى على البعث، وشأن الشرائع التى فصلها، والأمثال التى ضربها[٩]

ويؤكد كلام سيد قطب أننا من خلال القصة القرآنية نتعرف على أخبار الأمم السابقة، وما مر بهم من من وقائع وأحداث حقيقية، يقول تعالى: ((نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِ)) [الكهف ١٣]، ويقول تعالى: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)) [يوسف ١١١]

ولا شك في أن القصة القرآنية مستوحاة من الواقع الحقيقي للأمم والشعوب، وهي ملتزمة بالصدق المعجز البعيد عن أي إيحاءات تحمل أي معنى خفى، أو متروك لاستنتاجات البشر؛ لذا لم يستخدم القرآن الكريم فى قصصه لفظ الحكاية؛ لأن الحكاية تقليد للأحداث، وليست واقعا " أما القصة فهى إخبار عن وقائع الماضي، وقصص القرآن واقع يتحدث عن أحوال الأمم، والنبوات، والحوادث السابقة"[١٠]

ثانيا : خصائص القصة القرآنية ومميزاتها

لا أقصد من هذا المبحث عقد مقارنة بين القصة القرآنية، والقصة الأدبية، فلا مجال للمقارنة بينهما ، **فالقصة القرآنية** كلام الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، أما **القصة الأدبية** فهى اجتهادات بشرية مهما ارتقت لا تصل إلى درجة الكمال.

إنما المقصود من هذا المبحث إظهار لون من ألوان إعجاز القرآن الكريم، وقوة بلاغته فى الدعوة، وهداية البشر، متمثلا فى القصص القرآنى، الذى امتاز بخصائص يعلو بها جلالة وقداسة، ويعظم بها أهمية و تأثيرا، تلك هي الخصائص التي جعلته أحسن القصص

وسوف أركز حديثي على أهم الخصائص التى تنفرد بها القصة القرآنية وهي :

١ _ الواقعية التاريخية :

لا يوجد أدق ولا أبلغ من وصف الله تعالى للقصص القرآني بأنه القصص الحق، يقول تعالى: ((إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ))[آل عمران ٦٢]

فأحسن القصص حقائق صادقة، لم يخبرنا بها المولى تعالى لمجرد التسلية، أو التشويق، أو الإثارة، إنما أخبرنا بها لتحقيق هدف مهم وهو العبرة، والاتعاظ من تجارب السابقين، يقول تعالى: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ))[يوسف ١١١]

كما أن القصة القرآنية بعيدة كل البعد عن الخيال الفنى، أو الاستطرادات الزائدة التى تتطلبها الحبكة الفنية، فهى قصص حقيقية، لا تتناول إلا كل ما هو ثابت تاريخيا، ولا دور للخيال أو الأسطورة فيه ، وهى بريئة مما ادعاه بعضهم[١١] من أنها نمط من أنماط القصة الفنية، لا يلتزم فيها الصدق، وأنها خاضعة للإبداع وفق الحبكة الفنية؛ لأنها فى نظره جاءت للتسلية كأي قصة، وعلى ذلك لا يلزم منها تقرير حقيقة تاريخية، بقدر صياغتها فى صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، أوالأساليب الرائعة.

ولا شك أن ما يدعيه هؤلاء كذب واختلاق، فالقصص القرآنى واقعي، وحقيقي، لم يتناول إلا ما هو ثابت تاريخيا، ولا دور للخيال، أو الإبداع فيه، وما ادعاه هؤلاء أشبه بما زعمه الكفار قديما، عندما وصفوا القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين، فليس فى القرآن الكريم خيال أسطورى، إنما هى أحداث وقعت بالفعل لأشخاص حقيقيين.

وقد رد محمد الغزالى على هؤلاء المدعين، مفرقا بين قصص القرآن الكريم الواقعي، وبين القصص الروائي الفني بقوله: "إن القصص القرآني سرد واع، موجه للتاريخ الإنسانى؛ ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق؛ بل الغرض منه التربية، والتوعية، وتجديد المعانى بعد انتهاء أهلها؛ لتكون عظة دائمة. وقد شاع فن القصة فى عصرنا شيوعا يستحق الدهشة، وامتلأت الأيدى بروايات يقرؤها حاملوها؛ ليقطعوا الوقت، أو يتلذذوا بحسن العرض، وجملة هذه الروايات من نسيج الخيال، وقد تكون إثارة وضعية، والبون شاسع بين هذه الأقاصيص، وبين التاريخ الذي يجسده القرآن الكريم، ويغزو به الألباب، والأبصار؛ ليمحو الغفلة، ويرفع المستوي، ويضيئ السبل"(١٢)

و بالإضافة إلى ذلك فإن الخيال فى القصص القرآني خيال تعبيري، وليس خيالا فنيا، والخيال التعبيري، هو تصوير لأثر الوقائع الواقعة؛ حتى يحس القارئ بما يحس به الكاتب، أو بما يحس به من يقع فى دائرة الحس، ولا يضيف شيئا إلى الحقائق، ولا يغير من طبيعتها، إنما يقدمها كما هى، مكسوة بلباس يكشف عما قد يخفى من مكنوناتها (١٣)

ومما تجدر الإشارة إليه أن القصص القرآني نزل لتحقيق هدف ديني، وتأصيله فى النفس الإنسانية، كتثبيت العقيدة، أو غرس خلق قويم، أو التذكير للعظة والاعتبار بما حدث للسابقين، فلا يعقل أن تقارن قصصه بالقصص الفني، الذي يقوم على الخيال والأساطير فى سرد أحداثه، ولا يلتزم الصدق والواقعية فى ترتيبها، حتى وإن كانت القصة تاريخية، فهى تعتمد على الخيال الفني أكثر من الحقائق التاريخية؛ لذا نجد فيها كثيرا من الأخطاء التاريخية، وعلى ذلك فهي لا تلتزم بالصدق فى كل أحداثها، فللكاتب الحرية فى تحريك الأحداث والأشخاص؛ لأنهما ملك له ولعنان فكره وخياله؛ لذا تختلف أهداف القصة الفنية عن القصة القرآنية ، فقد تهدف **القصة الفنية** إلى تحقيق غرض فنى أو تاريخى أو إنسانى؛ لذا نجد كاتبها يهتم بالشخص فيها أكثر من الحادثة، ويعده محورا للأحداث، بل المحرك الأساسي لها، أما **القصة القرآنية** فالغرض منها ديني هادف، كما ذكرت سابقا؛ لذا اعتمدت على الأحداث أكثر من الأشخاص، وغالبا ما تتفرق الأحداث فى غير سورة؛ لتحقق الهدف المراد تحقيقه، هذا إلى جانب ما تميزت به القصة القرآنية من واقعية صادقة، وجاذبية فى العرض والبيان، وشمولية فى الموضوع، وعلو فى الهدف (١٤)

٢ - التكرار الهادف

يعد التكرار الهادف من أهم خصائص القصص القرآني، فمعظم القصص القرآنى يرد ذكره فى غير سورة من سور القرآن الكريم، تبعا لمناسبة ورود القصة(١٥)؛ فعندما تقتضي الحاجة إلى ذكر جزء من قصة فى موضع، تذكر فى ذلك الموضع؛ لتحقيق الفائدة، أوالهدف المطلوب.

ولاشك في أن التكرار من أقوى وسائل الإقناع والتركيز، وعلامة من علامات الاهتمام، خصوصا إن كان يتناسب مع السياق الذى يرد فيه، مثل تكرار القصص فى القرآن الكريم، الذي لا يمل أي إنسان منه؛ بل يتعلم في كل مرة ترد فيها القصة معان مختلفة ومتجددة، وكأنه أمام قصة، أو خبر جديد لم يسمع به من قبل، وينتبه إلى عبر وفوائد، لم تخطر على باله لولا هذا التكرار.

ومن الأمثلة التى تؤكد ذلك قصة موسى– عليه السلام – فعلى الرغم من أنها من أكثر القصص تكرارا في القرآن الكريم، فإنها فى كل مرة تُذكر فيها نتعلم موعظة جديدة، أو عبرة مختلفة، عما تعلمناه في المرات الأخرى ، والقرآن الكريم يعرض منها القدر الذى يحقق الغرض الذى ذكرت من أجله، واستنباط ما بها من هداية وتوجيه.

أي أن التكرار الذي يحدث في القصة القرآنية " يبرز لنا جوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير؛ بل لابد أن تعاد العبارة مرة بعد مرة، لكي تحمل كل مرة بعضا من مشخصات المشهد نفسه " (١٦)

وهكذا يكون للتكرار فى القصة القرآنية غرض فني، يميزها عن غيرها من القصص الأخرى، فى أسلوب العرض المتنوع ما بين الإيجاز، والإطناب ، والمختلف فى الألفاظ والمعاني، والممتع فى العرض، والرائع فى الأسلوب ، والمتعدد فى العبر والعظات(١٧)

وبذلك يستطيع قارئ القرآن أن يركز انتباهه إلى الهدف المقصود من القصة، والعبرة فى كل حدث من أحداثها، ولا يكون كل همه تتبع حياة الأشخاص الذاتية فى القصة، وبخاصة أنه في كل مرة تذكر فيها القصة القرآنية يذكر معها شئ جديد، لم يكن مذكورا من قبل، وبتجميع آيات القصة تتضح لنا القصة بكامل أحداثها.

وجدير بالذكر أن هذا التكرار لم يأت إلا مع قصص الأنبياء، والمرسلين –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– أما قصص غير الأنبياء، أو من اختلف فى نبوتهم، فلم تذكر إلا مرة واحدة مثل قصص (لقمان، والخضر، وابني آدم، وأصحاب الجنة، ويأجوج ومأجوج) وغيرها، فكل قصة من هذه القصص لم تُذكر إلا مرة واحدة؛ لأن الغرض، أو الهدف الذي سيقت من أجله قد تحقق، أما قصص الرسل والأنبياء فقد تكررت أكثر من مرة؛ لتنذر الكافرين وليتعظ المكذبون للرسول –صلى الله عليه وسلم– بما حدث لمن سبقهم من المكذبين لرسلهم، وأنبيائهم (١٨)، وفى الوقت نفسه تبشر المؤمنين بنصر الله إن صبروا ونصروا دينه، كما صبر من سبقهم مع رسلهم، مع ما لاقوه من أذى شديد من أقوامهم ، يقول الله تعالى : ((حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)) [يوسف ١١٠] ، فكلما كذب الكفار الرسول –صلى الله عليه وسلم– نزلت قصة تقص مشهدا من قصص الأنبياء؛ لتنذرهم بحلول العذاب، كما حل على من كذبوا رسلهم من قبل؛ لأن جميع الرسل والأنبياء رسالتهم واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده ((اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ)) [الأعراف ٥٩]

ومع ذلك نجد أن جلّ الأقوام كذبت رسلها؛ فتكون النهاية المحتومة، وهى تدمير المكذبين، ونجاة الرسول ومن آمن معه ، ثم يرسل المولى تعالى رسولا آخر إلى قوم آخرين ضالين، وتتكرر الدعوة، وتتكرر النهاية المحتومة، وهكذا فالمواقف ثابتة والنتيجة ثابتة ، وهى نصرة الحق، وإبادة الضالين، وكأن جميع الأنبياء نبي واحد، وجميع الأقوام قوم واحد. ولعل ذلك هو السبب فى عدم تكرار قصة يوسف –عليه السلام – وهو أن قومه لم يكذبوه.

٣ ـ المعجزات وخوارق العادات :

ومن الخصائص(١٩) التى انفرد بها القصص القرآنى كذلك، اشتماله على المعجزات، وخوارق العادات، التى تؤيد صدق الرسل، ومدى قدرة الله تعالى، كعصا موسى، وانفلاق البحر، ونار إبراهيم ، وناقة صالح ، وكلام الهدهد والنملة، وما إلى ذلك، وهذا بالطبع لا يوجد فى غير القصة القرآنية.

وإلى جانب هذا لا نغفل الإشارة إلى جمال أسلوب القرآن الكريم، وبلاغته، وحسن بيانه، والقصة القرآنية جزء منه؛ بل جزء مهم منه، مما أعجز القصاص فى كل زمان،

ومكان أن يأتوا بمثل قصصه، فى سمو غايته، وصدق أحداثه، وعظاته، وتوجيهاته، وسحر بيانه.

وبهذه السمات صارت القصة القرآنية تربة خصبة للمعلمين والمربين فى جميع المراحل العمرية؛ إذ تساعدهم على النجاح فى رسالتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي وتعليمي من سيرة أفضل الخلق –صلوات الله وسلامه عليهم– ومن سنن المولى تعالى فى حياة الأمم والشعوب على مر التاريخ، ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)) [الأحزاب ٦٢]

ثالثا : أنـواع القصة القرآنية

وردت القصة فى القرآن على أشكال مختلفة، وتعددت آراء العلماء حول تصنيفها على ثلاثة آراء، على النحو التالي

الرأي الأول : أن للقصة القرآنية ثلاثة أنواع(٢٠)

النوع الأول : قصص الأنبياء، ويتضمن كل ما اتصل بحياة الأنبياء، والمرسلين–صلوات الله وسلامه عليهم– ومن ذلك معجزاتهم، وأسلوبهم فى الدعوة ، ومراحل تطور دعوتهم، وموقف المؤمنين معهم، والمكذبين لهم، إلى نهاية أقوامهم .

النوع الثانى : قصص غير الأنبياء، ويتضمن قصص الذين لم تثبت نبوتهم، وقصص الغابرين، سواء الصالحين منهم، أم غير الصالحين، كقصة لقمان، وابني آدم، وذي القرنين، وأهل الكهف، وأصحاب الجنة، وصاحب الجنتين، وغيرهم، ويشمل هذا النوع كذلك القصص المتصلة بقصة نبي من الأنبياء، كقصص (أم موسى، ومؤمن آل فرعون، وفرعون، وقارون، والخضر) فكلها متصلة بقصة موسى عليه السلام، وكذلك قصة ملكة سبأ، فهي متصلة بقصة سليمان –عليه السلام – وقصة مريم، متصلة بقصة زكريا وعيسى –عليهما السلام–إلى غير ذلك من القصص.

النوع الثالث : القصص المتعلقة بالحوادث التى وقعت فى زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ، كقصص الإسراء، والهجرة، وغزوات الرسول –صلى الله عليه وسلم– وما إلى ذلك

الرأي الثاني: أن للقصة القرآنية ستة أنواع (٢١)

النوع الأول : فيه تذكر القصة مفصلة الأحداث، سواء أكانت **متفرقة فى عدة سور** كقصة موسى، فقد ذكرت بأحداثها كاملة من قبل مولد موسى إلى ظروف ولادته، وتربيته، وفراره من قومه، وزواجه، وعودته إلي قومه، إلى غير ذلك من الأحداث المتعلقة به وبقومه. أو كانت أحداث القصة **مجتمعة فى سورة واحدة،** كقصة يوسف –عليه السلام؛ فقد ذكرت أحداثها مفصلة في سورة واحدة تحمل اسمه منذ الرؤية التى رآها في صغره، إلى كيد إخوته له، إلى بيعه، إلى شراء العزيز له، وتبنيه، مرورا بمراودة امرأة العزيز له ....إلى تحقيق رؤيته فى نهاية السورة.

النوع الثاني : قصة لم تذكر بتفاصيلها كاملة، مثل قصة نوح عليه السلام، فقد اقتصر ورودها فى القرآن على دعوته لقومه لسنوات طويلة، وإعراضهم عنه، وصنع السفينة، والطوفان، وغرق ابنه، وعدم استجابة الله لدعائه لابنه لأنه عمل غير صالح.

النوع الثالث : قصص ذكرت بصورة قصيرة مثل، قصص هود، وصالح، ولوط، وشعيب –عليهم السلام– فقد اقتصرت ورود قصصهم على عرض رسالاتهم على أقوامهم، وحوارهم معهم، ثم تكذيب أقوامهم لهم، ثم هلاك هؤلاء الأقوام.

النوع الرابع : قصص متناهية فى الصغر، كقصة زكريا عليه السلام، فلم يذكر القرآن

من قصته إلا كفالته للسيدة مريم، ثم دعاءه أن يهب الله له غلاما زكيا، ثم مولد ابنه يحيى، وكذلك قصة أيوب عليه السلام، فلم يذكر القرآن عنه إلا ما أصابه من ضرّ، وصبره، ودعائه، ثم شفائه ورد أهله إليه ومثلهم معهم.

النوع الخامس : قصص أشير إلى أصحابها، ولم يذكر عنهم شئ إلا وصفا خاطفا لأصحابها، كقصة إدريس، واليسع، وذي الكفل –عليهم السلام–

النوع السادس : قصص وعظية متفرقة، لم تذكر من أحداثها إلا موضع العبرة، والعظة، كقصة أهل الكهف، وصاحب الجنتين، وأصحاب الجنة؛ فقد اكتفى المولى تعالى بعرض مشاهدها لما فيها من عبرة وعظة .

الرأي الثالث : أن للقصة القرآنية ثلاثة أنواع

ويختلف أصحاب هذا الرأى عن أصحاب الرأي الأول، في أن تقسيمهم كان على أساس البناء الموضوعي للقصة، فهم يرون أن القصة القرآنية من هذه الناحية وردت على ثلاثة أنواع (٢٢)

النوع الأول : القصة التاريخية، وتشمل قصص الأنبياء، أو غير الأنبياء، ممن قص الله تعالى علينا قصصهم.

النوع الثانى : القصة الغيبية، وتشمل كل ما قصه القرآن من أحداث غيبية، كقصة آدم، والمسيح عليهما السلام.

النوع الثالث : القصة التمثيلية، وتشمل كل قصة ضربها الله تعالى بمثل مضروب، أو كل قصة منسوبة إلى أشخاص مبهمين، من مثل قصة صاحب الجنتين، وأصحاب الجنة.

ولعل **أصحاب الرأي الأخير**، الذين يقسمون القصة القرآنية بناء على البناء الموضوعى للقصة، جانبهم الصواب، فلا فرق بين القصة التاريخية، والقصة الغيبية فكلتاهما تاريخ وغيب بالنسبة لنا، وأرى كذلك أنه لا فرق بينهما وبين القصة التمثيلية، فهى كما وصفها أصحاب هذا الرأى لا تختلف عن النوعين السابقين؛ لأن الأمثال التى ضربها المولى –تعالى– فى قصصه هى أمثال لأشخاص حقيقيين، لا أشخاص متخيلين أو مفترضين. فالقصص القرآني كله حق واقع حدث بالفعل؛ وإن لم يذكر الله –تعالى– شخصية صاحب الفعل أو مكانه أو زمانه كما هو الشأن فى القصة التمثيلية، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ((إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [آل عمران ٦٢]

رابعا : أهداف القصة القرآنية

لا شك أن أهداف القصة القرآنية لا تختلف كثيرا عن أهداف القرآن الكريم ذاته، فهى أولا وأخيرا جزء منه، وسوف أذكر أهم هذه الأهداف باختصار وهي (٢٣)

١ ــ تثبيت قلب الرسول وبث الطمأنينة في قلوب المؤمنين

ففي القصص القرآني إيناس لصاحب الرسالة الخاتمة –صلى الله عليه وسلم– وذلك عندما يعرف أخبار الرسل السابقين وثباتهم على الحق، على ما حدث لهم من أذى من أقوامهم ، وصبرهم حتي آتاهم نصر الله –تعالى– هم ومن تبعهم، وأن هذه هى سنة الله – تعالى– مع خلقه، فكل من آمن به، واستقام على شريعته، لابد أن تكون له الغلبة فى الدنيا، والنجاة فى الآخرة؛ وبذلك تربى نفوس المؤمنين على الطاعة، وتصحح عقائدهم على الثقة بالنصر ماداموا على التوحيد، وعلى نصرة دين الله، وهذا كله واقع ملموس فى

قصص القرآن الكريم، يقول تعالى : ((وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)) [هود ١٢٠] ، و يقول تعالى : ((كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)) [المجادلة ٢١]، و يقول تعالى: ((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)) [غافر ٥١]

فكم من المؤمنين السابقين تعرضوا للمقاطعة، وللعذاب بجميع أنواعه من أقوامهم؛ وحتى لا يدب اليأس فى قلوب المؤمنين الحاليين يقص الله –تعالى– عليهم بعضا من قصص السابقين من حين لآخر؛ ليحثهم على الصبر، والثبات حتى يأتى نصر الله، وما أبلغ قوله – تعالى– : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) [البقرة ٢١٤]

وفى النهاية يكون نصر الله، وتأييده للمؤمن الطائع، وينصب غضبه –تعالى– وعذابه فى الدنيا والآخرة على الجاحد العاصي، وهذه هي عاقبة الشر والفساد.

وقد أكد المولى تعالى لنا هذه الحقيقة عندما بين لنا نهاية **قارون**، الذي فتنه المال، فبغى وظلم، ونسى الله مصدر نعمته، ونهاية **فرعون** الذى أغرته السلطة، والقوة ،فادعى الألوهية، وغيرهما كثير، وفى ذلك إنذار وتخويف للظالمين ، يقول –تعالى– : ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا)) [محمد ١٠]

وأخيرا يمكننا القول إن القصص القرآنى يعد بالنسبة للرسول تثبيتا وطمأنة، وبالنسبة للمؤمنين تذكيرا وعظة ، وبالنسبة للمكذبين المعاندين وعيدا و إنذارا.

٢ ــ إثبات الوحى والرسالـة

والمقصود بهذا الهدف التأكيد على أن هذا القرآن أنزل من عند الله تعالى؛ فالرسول –صلى الله عليه وسلم– كان أميا قبل أن يوحى إليه، ولم يطلع على أى كتاب فى الأديان، يقول الله –تعالى– : ((وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)) [العنكبوت ٤٨] ، كما أنه لم يثبت أنه –صلى الله عليه وسلم– جلس إلى أحد من اليهود، أو النصارى؛ ليعرف منهم قصص السابقين، ولم يكن الرسول مشاهدا لأحداث هذه القصص ليرويها، إنما عرفها عن طريق الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأمره بتبليغه، يقول الله تعالى: ((تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)) [هود ٤٩]، ويقول –تعالى– عقب قصة السيدة مريم : ((ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)) [آل عمران ٤٤]، ويقول –تعالى– في أثناء حديثه عن بعض أحداث قصة موسى عليه السلام: ((وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[القصص ٤٤ – ٤٦]

فالرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يكن عالما بأي من أحداث قصص السابقين، ولم يكن مشاهدا لأحداثها؛ إنما أخبره علام الغيوب، ويؤكد ذلك تطابق أحداث القصص القرآنى بما ثبت صحته من أخبار السابقين من أهل الكتاب، ولم يتناوله التحريف، وفى ذلك دليل قاطع أنه –صلى الله عليه وسلم– لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

٣ ــ إثبات أن ما جاء به محمد هو الحق والدعوة إلى اتباعه

والمقصود بهذا الهدف إظهار صدقه –صلى الله عليه وسلم– فيما أخبرنا به عن أحوال الأنبياء، والرسل السابقين عبر القرون الماضية، وإقامة الحجة على أهل الكتاب فيما كتموه من البينات والهدى، وما بدلوه وحرفوه فى كتبهم، يقول الله –تعالى– : ((كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) [آل عمران٩٣]

فقد كذب المولى تعالى أهل الكتاب، فيما ادعوه على رسلهم، من أنهم جاءوا بتحريم بعض الأطعمة عليهم، فأظهر الله كذبهم، وقارعهم بالحجة فيما كتموه، أو بدلوه من البينات والهدى الحكيم .

وفى ذلك أيضا بيان لوحدة الوحى الإلهى، وإثبات أن جميع الأديان أصلها واحد، وكل الشرائع المنزلة لا تعارض بينها أو اختلاف، يقول تعالى: ((إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) [الأنبياء ٩٢]

٤ ــ تعليم المسلمين فضائل الأعمال

قدم لنا المولى تعالى من خلال قصص السابقين نماذج لشخصيات عديدة، كانت مضرب المثل فى القدوة الحسنة، وفضائل الأخلاق؛ لنتعلم منها ونقتدى بهديها، من مثل: **أيوب** فى صبره ، **ولقمان** فى حكمته ،و**يوسف** فى عفته، و**إبرهيم** فى توكله على ربه، و**سليمان** فى علمه، و**طالوت** فى قوته وعلمه (عليهم جميعا السلام) .

كما قدم لنا المولى –تعالى– نماذج من الشخصيات الذميمة الخلق من مثل: **قارون** في اغتراره بماله، **وفرعون** فى كفره وتعاليه، و**جالوت** فى جبروته، وأخبرنا بسوء عاقبتهم فى الدنيا والأخرة؛ ليحذرنا من سوء الخلق .

وفي تكرار ذكر الأخلاقيات فى القصص القرآنى، حماية لنا من الوقوع فى الآثام، وحثا للمسيء على التوبة؛ وذلك من خلال حوار عقلى هادف، مقنع، متفهم لطبيعة الإنسان، وحبه للدنيا وزينتها؛ حوار يحذره في الوقت ذاته من أن يتمادى فى هذا الحب؛ لدرجة تفتنه، أو تنسيه المنعم ذاته، أو تغفله عن تأدية شكر هذه النعم، أو تجعل منه إنسانا مفسدا فى الأرض، يسيء إلى خلق الله.

وعلى هذا يكون الغرض من قص القصص، السمو بالإنسان سموا نفسيا، وروحيا؛ ليسمو المجتمع الإنساني ككل. والقصص القرآنى يسلك أكثر من أسلوب، ليصل الإنسان إلى هذه النتيجة الطيبة.

٥ ــ الاعتبار والاتعاظ

تعد القصة القرآنية تربة خصبة جدا للعبرة والعظة، فلا تكاد تذكر قصة إلا وكانت معها عبرة، أو مجموعة من العبر، يقول تعالى: ((قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) [يوسف ١١١]

فالخطاب فى الآية الكريمة موجه للمشركين، بأن لهم فى قصصهم عبرة لو اعتبروا بها؛ فالذي فعل ذلك بيوسف وإخوته قادر على أن يُخرج الرسول –صلى الله عليه وسلم– من بين أظهرهم" ويمكن له فى البلاد، ويؤيده بالجند، والرجال من الأتباع، والأصحاب،

وإن مرت به الشدائد " (٢٤)

إلى غير ذلك كثير من المثلات، لمن عصوا وتركوا أمر ربهم، وما أصابهم من عذاب، وبمن غرتهم النعم، وتجبروا فى الأرض، وما لحق بهم من غضب وإبادة، والله من ورائهم محيط .

وعلى العاقل أن يعتبر بما جرى لغيره من المكذبين المعاندين لله تعالى ورسله، وأن يقتدي بما اشتملت عليه القصص القرآنية، من حكم ،وآداب ،وإرشادات.

وأخيرا فالقصة القرآنية جزء من القرآن الكريم، تتفق أهدافها مع أهدافه، ومع ما جاء به من هداية للبشر، ومن تحذيره من الوقوع في أخطاء السابقين، ومن تصحيحه لعقيدتهم وتقويمه لسلوكهم، وغرسه لبذور الإيمان فى نفوسهم.

وإلى ذلك فهي من أبلغ وسائل التربية توجيها، وأكثرها تعليما، وأوفرها خبرات وتجارب، وأكثرها تأثيرا فى النفوس، ومناسبة لجميع الأعمار، فكلنا تتوق نفسه لسماع القصة وروايتها، وبخاصة إن وضعت فى إطار ديني، تنفد معه الأشعة الروحية المحملة بالعبر والمثل، التى من أجلها أنزل الله تعالى القصة.

المبحث الثاني
قصة أصحاب الجنة

تـمهيد :

وردت قصة " **أصحاب الجنة** " فى سورة (القلم)، فى موضع واحد فقط فى القرآن الكريم –شأنها شأن قصص غير الأنبياء كما سبق أن ذكرت– وهي من القصص التى كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام، ومتداولة بينهم، وأحداثها تدور حول إخوة أنعم الله عليهم، فبطروا، وطمعوا، وعزموا على منع حق المساكين فيما أنعم الله عليهم به، فابتلاهم الله تعالى بالحرمان من نعمتهم، وهذه هى سنة المولى تعالى فى خلقه، يذكر لنا أخبار الغابرين؛ ليعتبر بها الحاضرون.

وإلى جانب ذلك فإن فى ورود هذه القصة تأكيدا للمؤمنين على أن ما يرونه من نعم على مشركى قريش؛ إنما هو ابتلاء من الله –تعالى– الذى يبتلى بالنعمة، كما يبتلى بالنقمة، ولا يغتر بالنعمة إلا المتبطرون، أما المؤمنون فلن تزيدهم النعمة إلا شكرا.

وسوف أتناول قصة " أصحاب الجنة " من خلال الحديث عن مطلبين، وهما

- **التعريف بأصحاب الجنة ، ومناسبة ذكر قصتهم**
- ***عرض لأحداث القصة***

أولا : التعريف بأصحاب الجنة ومناسبة ذكر قصتهم

ذكر معظم المفسرين أن أصحاب الجنة[٢٥] كانوا من أهل اليمن، من قرية يقال له "ضروان"، على بعد ستة أميال من اليمن[٢٦]. وذكر بعضهم أنهم كانوا من أهل الحبشة[٢٧]، وذكر الواحدي أنهم قوم من ثقيف كانوا باليمن، ورثوا عن أبيهم ضيعة[٢٨]

أما عن زمن وقوع القصة، فقد وقعت بعد رفع عيسى (عليه السلام) بيسير[٢٩].

واتفق المفسرون أن صاحب الجنة كان رجلا صالحا من مؤمنى أهل الكتاب[٣٠]، وكان يؤدى حق الله فيها؛ إذ كان يدخر لعياله قوت سنتهم، ويبيع بقدر ما تحتاج إليه الجنة من نفقات، ويتصدق بالباقى[٣١].

وقيل إنه كان ينادى الفقراء وقت الحصاد، ويترك لهم ما أخطأه المنجل، أو ألقته الريح، أو بعد عن البساط الذي ينبسط تحت النخلة، فلما مات هذا الرجل صارت الجنة لأولاده، فشحوا بذلك، وبخلوا بحق الله فيها، متعللين بكثرة العيال، وقلة المال، وخصوصا بعدما وجدوا جميع الشجر يحمل حملا كبيرا، ففكروا فى جمعه كله وبيعه؛ حتى تكثر أموالهم ويغتنوا[٣٢]

مناسبة ذكر أو نزول قصة " أصحاب الجنة "

يبدأ المولى –تعالى– حديثه عن أصحاب الجنة بقوله: "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ"[القلم ١٧]، والمقصود ب (بلوناهم)، ابتلاء مشركى قريش، والابتلاء هنا بمعنى الامتحان والاختبار، أى أن الله تعالى ابتلى مشركى قريش، كما ابتلى أصحاب الجنة من قبلهم؛ ولكن ما السبب فى ضرب الله تعالى لهذا المثل؟ وما وجه الشبه بين مشركى قريش وأصحاب الجنة ؟

– ذكر بعض المفسرين أن كفار قريش حين خرجوا لغزوة بدر، حلفوا على أن يقتلوا محمدا –صلى الله عليه وسلم– وصحبه، وإذا فعلوا ذلك رجعوا إلى مكة، وطافوا بالكعبة، وشربوا الخمور، فأخلف الله ظنهم، وقُتِل وأسر منهم الكثير،وهذا عذابهم في الدنيا، ولعذاب الأخرة أكبر، كما خاب ظن أصحاب الجنة، عندما عزموا على حرمان المساكين،

فحرمهم الله من جنتهم [٣٣]

وحكى ابن جريج أن أبا جهل " قال يوم بدر: خذوهم أخذا، واربطوهم فى الحبال، ولا تقتلوا منهم أحدا، فضرب الله بهم عند العَدو مثلا بأصحاب الجنة " [٣٤]

– وذكر بعضهم أن هذا مثل ضربه الله –تعالى– لكفار قريش، الذين أنعم الله عليهم بنعمتي الأمن والرزق، ويسر لهم سبل التجارة فى الآفاق برحلتي الشتاء والصيف، وأتم عليهم نعمه بأن بعث فيهم رسولا منهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى النعيم الدائم، والصراط المستقيم، فقابلوا ذلك كله بالتكذيب، ومحاربة الرسول –صلى الله عليه وسلم–[٣٥] ، فأكرم الله تعالى رسوله بأنصار ناصروه، وابتلى أهل مكة بالقحط الذى دعا عليهم به الرسول –صلى الله عليه وسلم–[٣٦]، حتى رأوا الدخان، وأكلوا الجيف والجلود، ومازالوا معرضين للعقاب، وما تابوا كما تاب أصحاب الجنة[٣٧]

– وذكر بعض المفسرين أن الله تعالى ابتلى بعض المكذبين[٣٨] من أهل مكة، بالمال والولد وطول العمر، إلى غير ذلك من الأشياء التى يشتهيها كل إنسان فى الدنيا، فاغتروا بذلك كله؛ فأصبح مالهم وبالا عليهم، كما اغتر أصحاب الجنة من قبل، وظنوا أن ثمار جنتهم فى أيديهم، فعزموا على قطعها بلا استثناء لحق الله فيها، فأراد الله –تعالى– أن يكونوا هم أول المحرومين؛ فالله –تعالى– يبتلى الإنسان بالنعمة؛ ليرى " أيصرف ذلك فى طاعته وشكره، فيزيد له فى النعمة، أم يكفر بها فيقطعها عنه، ويصب عليه أبواب البلاء والعذاب، كما أن أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من المعاصي، دمر الله جنتهم، فما بالك بمن حاد الله ورسوله، وأصر على الكفر والمعصية " [٣٩]

وعلى الرغم من اختلاف الأقوال حول السبب فى ضرب الله –تعالى– هذا المثل فى ابتلاء مشركى قريش، كما ابتلى أصحاب الجنة، فالغاية والعبرة من ذكر هذه القصة واضحة، وهى تشبيه حال مشركي قريش المترفين، الذين فتنتهم زينة الحياة الدنيا، فاتبعوا هواهم، وخالفوا الحق واستكبروا، بحال أهل الجنة السابقين الذين اغتروا بما لديهم من نعمة، وكفروا بالمنعم الذى أنعم عليهم بها، فكان جزاؤهما الحرمان، وبذلك تنقلب النعمة إلى نقمة، وكذلك يكون عذاب الله لكل من كفر وعصى، ومنع الفقراء حقهم فى كل زمان ومكان.

ثانيا : عرض لأحداث قصة أصحاب الجنة

صورت لنا قصة " أصحاب الجنة " نموذجا من البشر، سيطر عليه الشح والحرص الشديد على الدنيا، وسيطر عليه الطمع الذي يصور لصاحبه أنه سيحقق كل ما يطمع فيه، فجعلهم يبالغون في منع مالهم، ظنا منهم أنهم سيحققون أطماعهم بهذا المنع، ثم يفاجئوا بعد ذلك بما ليس في الحسبان، يفاجئوا بقدرة المعطي على المنع بعد العطاء.

ويمكننا تلخيص أحداث قصة " أصحاب الجنة " في ستة مشاهد على النحو التالي :

المشهد الأول : الطمع النفسي وتملكه من أصحاب الجنة

يصور المشهد الأول من القصة، صورة الطمع حينما يتغلغل في النفس الإنسانية، ويتمكن منها حتى ينسيها كل ما أنعم الله –تعالى– به عليها. وهذه الصورة تتكرر دائما في كل زمان ومكان؛ لذا شبه الله –تعالى– في بداية القصة حال مشركي قريش الطاغين، الذين اغتروا بمالهم الوفير، وأولادهم، فكفروا بالمنعم عليهم ، وكذبوا رسوله –صلى الله عليه وسلم– شبههم الله –تعالى– بأصحاب الجنة، الذين تملك من نفوسهم الطمع؛ وبخاصة عندما رأوا جنتهم مثقلة بالثمار ، فاعتقدوا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه لا يوجد ما يمنعهم من أخذها كلها، فأقسموا أن يقطعوا كل ثمرها في الصباح الباكر، ولا يتركوا منها شيئا للمساكين، الذين أوجب الله –تعالى– لهم حقا في رزقه، والذي كان أبوهم الصالح الطيب يؤديه.

ويصف المولى تعالى موقفهم هذا في قوله : " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ، إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ " (القلم ١٧-١٨)

ومن الطبعي أن أصحاب الجنة لم يقسموا على صرم[٤٠] الثمار، إلا بعد اجتماع وتحاور وتشاور، ثم قرار وقسم على صرم جميع الثمار لأنفسهم، دون أن يستثنوا منها نصيب الفقراء، وباتوا وهم عاقدون النية على ذلك؛ إذ صور لهم طمعهم أن ما قرروه واقع لا محالة؛ لذا أقسموا على جمع جميع الثمار دون أن يتركوا منها شيئا " وهذا التعميم مستفاد مما في الصرم من معنى الخزن، والانتفاع بالثمر، وإلا فإن الصرم لا ينافي إعطاء شيء من المجذوذ لمن يريدون"[٤١]

ويؤكد سوء نية أصحاب الجنة، أنهم قرروا سرعة تنفيذ الصرم في الصباح الباكر، قبل أن يستيقظ المساكين، أو ينتبهوا ليوم الحصاد.

وجدير بالذكر أن تشبيه المولى- تعالى- مشركي قريش بأصحاب الجنة، تشبيه للتقريب لا للمساواة، لأن حال مشركي مكة أشد عتوا، وأبلغ غرورا من أصحاب الجنة ؛ لأنهم لم يتوبوا كما تاب أصحاب الجنة " وهكذا كل تشبيهات حال القيامة وما وراءها بحال ما يقع، ليس للتساوي، أو لأن المشبه به أبلغ في وجه الشبه، ولكن لتقريب الغائب بتصويره بالحاض، ومثل ذلك تصوير المعنويات بالمحسوسات، وما يكون من جزاء وعقاب هو من المحسوسات ولكنه غائب"[٤٢]

المشهد الثاني : الغفلـة عن قدرة الله

يصور المشهد الثاني من القصة، غفلة أصحاب الجنة عن قدرة السميع العليم، بعدما عزموا على منع الحقوق، وناموا وهم مصرون على ذلك، لكن الله -تعالى- لا يغفل ولا ينام، وكان تدبيره أسرع من مكرهم، فعجل لهم بالعقوبة قبل أن ينفذوا ما عزموا عليه، وباتوا في غفلتهم، لا يدرون ماذا حدث لجنتهم في ظلمة الليل وهم نائمون، يقول المولى -تعالى- مصورا هذا المشهد من القصة : "فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ" [القلم ١٩-٢٠]

والطائف هو العارض الذي يأتي ليلا مع ريح صرصر عاتية، أو عواصف تقتلع الأشجار وتلقي بالثمار، وهو مأخوذ من الطواف أي المشي حول الشيء من جميع جوانبه[٤٣]، وقيل: نار أحرقت الجنة، وقيل : موجة صقيع وهذا بسبب نيتهم[٤٤]

وقيل: إن الطائف هو العذاب الذي آتاها ليلا، ولا يكون الطائف إلا بالليل وهو عبارة عن نار نزلت من السماء فأحرقت الثمار، وقيل: إن الطائف صرم ثمارها، أي طاف على كل ثمارها فجعلها كالمقطوعة[٤٥]

ولعل في عقاب الله الدنيوي أدبا وإصلاحا لمثل هؤلاء، فكثيرا ما يكون في عطاء الله ابتلاء، وفي الحرمان دواء ، ولو آخر الله العقاب إلى يوم القيامة لهلك كثير من الناس، وما أفاقوا من غفلتهم ، ولعل من رحمة الله -تعالى- بأصحاب الجنة، (وربما بسبب صلاح أبيهم) أنه عجل لهم العذاب فى الدنيا. يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"[٤٦]

المشهد الثالث : الإصرار على المنع والتخطيط لذلك

يصور لنا هذا المشهد حال أصحاب الجنة، وهم مبكرون وما زالوا عاقدين العزم على المنع، وإضاعة حقوق المساكين، وقد أخذوا بجميع الأسباب التى تساعدهم على

تنفيذ ما عزموا عليه –وهم لا يعلمون بما حدث لجنتهم–فها هم استيقظوا مبكرين، ونادى بعضهم بعضا ليصرموا الثمار ، يصور المولى –تعالى– موقفهم هذا بقوله: "فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٠أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ٠ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ٠ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ٠ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ" (القلم ٢١–٢٥)

وعلى الرغم من أن أصحاب الجنة خرجوا إلى حرثهم مبكرين قبل أن يستيقظ الناس؛ فإنهم من شدة حرصهم كانوا لا يتحدثون فيما بينهم إلا خفية، خوفا من أن يشعر بهم المساكين(٤٧)، وهذه هي قمة الأنانية؛ لأنهم اجتمعوا على نية قطع الثمار، وعلى المسارعة في ذلك، وعلى حرم المساكين، وظنوا أنهم قادرون على ذلك، فأكدوا على عدم دخول جنتهم في هذا اليوم مسكين٠وهم بذلك لم يعزموا على منع عطاء المساكين فقط، بل عزموا على عدم دخول المساكين في يوم جمعهم بنهي مؤكد " ألا يدخلنها ".

ويؤكد نية المنع لديهم قوله –تعالى– "على حرد"، أي على قصد ومنع، حتى وإن اضطروا إلى طرد المساكين، أو نهرهم، وظنوا أنهم قادرون على فعل ذلك كله لقوتهم "وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ"، وقد رتبوا كل الأمور، وهم لا يعلمون أن عقوبة نيتهم السيئة قد أصابتهم قبل أن ينفذوا ما عقدوا عليه النية.

وقد آخذهم الله –تعالى– على نيتهم بسبب عزمهم عليها، وأخذهم بالأسباب لتحقيق ما أضمروه، ومثل ذلك قول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه"(٤٨)

فالله تعالى يحاسب الناس على نياتهم، فإن كانت صادقة فاز صاحبها عند الله، وإن كانت غير ذلك، فقد خاب صاحبها وخسر، فالجزاء من جنس العمل.

المشهد الرابع : المفاجأة ودورها في إيقاظ ضمائرهم

وبعد الحرص الشديد، والتدبير، والحيطة، يصور هذا المشهد من القصة المفاجأة التي صدمت أصحاب الجنة، والتي كانت سببا في إيقاظ ضمائرهم، وتنبيههم من غفلتهم، ورجوعهم إلى الله تعالى بالتوبة.

يقول المولى –تعالت كلماته– مصورا حال أصحاب الجنة الذين تركوا جنتهم بالأمس، وهي مثمرة ناضجة، وها هي أصبحت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها، يقول –تعالى–: " فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ" (القلم ٢٦–٢٧)

فقد شك أصحاب الجنة أول الأمر أنهم ضلوا الطريق إلى جنتهم، فعادوا مرة أخرى؛ ليتأكدوا من الطريق الصحيح، ثم أدركوا الحقيقة أنهم لم يضلوا طريقهم؛ بل حرموا خير جنتهم، وهذا هو الخبر اليقين.

حقا لقد كانت المفاجأة عظيمة عليهم، عظيمة بقدر حرصهم وطمعهم؛ لذا أصابتهم بالحيرة الشديدة فظنوا أنهم أضلوا الطريق " وأول الضلال أنهم توهموها غير أرضهم، فلما استيقنوا أحسوا بضلال آخر معنوي أشد فتكا في النفوس، وتأثيرا في القلوب، وهو إحساسهم بالضلال المعنوي أن قدروا ولم يدركوا لتقدير الله، وحسبوا أن الأمر إليهم وحدهم، والله فوقهم"(٤٩)

ولما أفاقوا من صدمتهم أدركوا حقيقة الأمر، وهو أنهم هم المحرمون حقا من خير جنتهم؛ نتيجة بخلهم بحق الله فيها، وأنهم لم يستطيعوا أن يمنعوا رزق الله عن غيرهم كما اعتقدوا، فمن أكرم الناس –وبخاصة الفقراء– أكرمه الله، مثل صاحب الجنة الذي بارك الله له في رزقه، ومن حرم الناس، وتهرب من إخراج حق الله حرمه الله، مثل أبناء صاحب الجنة.

المشهد الخامس : التوبة والرجاء

وبعد أن حاقت بأصحاب الجنة عواقب شحهم ومكرهم، يتقدم أخوهم الأوسط؛ (وهو أعدلهم خلقا وقولا وعقلا ، وهو الوحيد الذي لم تذهله المفاجأة وتذهب بعقله)[٥٠] ليذكرهم بنصيحته لهم من قبل، وهي أن يشكروا الله على نعمته، ولا يحرموا المساكين من حقهم، لكنهم أبوا أن يستمعوا لنصيحته، وأصروا على منعهم، فأذهب الله ما بأيديهم كله، ولم يبق لهم شيئا، فقد ذهب رأس المال، والربح، والصدقة؛ وذلك لبعدهم عن الله، وعدم اتباعهم أوامره، لا لإهمالهم في عملهم. ويصور لنا المولى –تعالى– مشهد عتاب الأخ الأوسط، وسرعة رجوعهم إلى المولى –تعالى– في أبلغ صورة وأوجز كلمات فيقول عز مِن قائل : " قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ. قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ. عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا. إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ" (القلم ٢٨-٣٢)

فعلى الرغم من أن أوسطهم طريقة نصحهم بذكر الله، وربما وبخهم على تقصيرهم في حق خالقهم، وعلى أنهم لم يستثنوا[٥١]، وكان له "رأي غير رأيهم، فقد تابعهم عندما خالفوه وهو فريد في رأيه، ولم يصر على الحق الذي رآه، فناله الحرمان كما نالهم"[٥٢]

ولعل صدمة المفاجأة، مع تذكير الأخ الأوسط لعبا دورا مهما فى إيقاظ ضمائر أصحاب الجنة، و إحياء النفس اللوامة داخلهم، فسارعوا بالتسبيح، والاعتراف بظلمهم لأنفسهم أولا، ثم للمساكين ثانيا، ولم يصروا على ما فعلوه، فكان ذلك سببا فى هدايتهم وتوبتهم؛ إذ إن من شروط التوبة الاعتراف بالذنب، فها هم اعترفوا بذنبهم ((قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا))، أى تنزيها لربنا أن يكون ظلمنا بما صنعه بجنتنا، ثم أكدوا ندمهم واعترافهم بالذنب، تحقيقا لتوبتهم فقالوا: ((إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)) أى ظلموا أنفسهم عندما ظنوا أن الأرض أرضهم، والكسب كسبهم، والثمر آتيهم لا محالة، وأن الله لا يمنعهم من خير أوتوه، ونسوا فضل الله عليهم، وأمنوا مكره[٥٣]

وهكذا شأن الإنسان، غالبا لا يقر بذنبه إلا بعد فوات الآوان، وذلك مثل أصحاب الجنة، لم يتوبوا إلا بعد ضياع جنتهم.

وبعد اعتراف أصحاب الجنة بظلمهم، بدأ كل منهم يلقى على الآخر اللائمة؛ لاعتقاده أنه زين له هذا المنع؛ ولعل ذلك من فرط إحساسهم بألم المعصية، وشدة العقوبة، وهذه هى طبيعة البشر " يتنصل كل شريك من التبعة، عندما تسوء العاقبة، ويتوجه باللوم إلى الآخرين "[٥٤]

والجقيقة أنهم كلهم ملومون؛ لأنهم جميعا نووا المعصية، وهموا أن ينفذوها لولا مشيئة الله –تعالى– وإن اختلفت نية كل واحد منهم، فمنهم من دعا إلى منع المساكين، ومنهم من قبل ذلك، ومنهم من أمر بالكف وأنذر، ومنهم من سكت وهو راض، ولكنهم جميعا اتفقوا فى نهاية الأمر على حرمان المساكين[٥٥]

وفى نهاية المشهد، بل نهاية القصة، يترك أصحاب الجنة التلاوم، (لإدراكهم أنه لا فائدة منه، وأن أوانه قد فات) ويعترفوا بذنبهم، وبتعديهم على حق الله، الذي كان سببا فى هلاك جنتهم، وحرمانهم من خيرها ((قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ))[القلم ٣٠]

وبعد أن كانوا متكبرين عاصين، اتجهوا إلى ربهم داعين راجين، تائبين من ذنبهم، طالبين عفوه، طامعين فى فضله فى أن يبدلهم خيرا من جنتهم ((عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ))[القلم ٣٢]

والظاهر من الآيات أن توبة أصحاب الجنة كانت صادقة، ويبدو أن "الله أبدلهم فى الدنيا خيرا منها؛ لأن من دعا الله صادقا، ورغب إليه، وجاءه أعطاه سؤله "[٥٦]، فالندم يعيد النعم.

وبذلك نستطيع القول إن أصحاب الجنة انتقلوا من درجة العصيان، إلى مرتبة الرضوان، ونالوا رضا الله تعالى ورزقه.

ولعل معصيتهم هذه كانت سببا فى تهذيب نفوسهم، وإصلاح حالهم، وجعلتهم يشعرون بمعاناة المساكين والمحرومين، ويوقنون بأن رازقهم هو رازق المساكين، ولنا فى أصحاب الجنة أسوة حسنة؛ لأنهم استفادوا من العقوبة، وتقبلوها بنفس راضية، والدليل على ذلك أنهم لاموا أنفسهم، ودعوا الله أن يرضى عنهم، ويبدلهم خيرا منها، وهذا لب الدرس، فالمال يمكن أن يعوض إن عاد الإنسان إلى ربه، وسأله من فضله، أما إن استمر الإنسان على عصيانه وتكبره فلن يربح شيئا، بل سيخسر فى الدنيا والآخرة.

المشهد السادس :مضمون القصة

ويأتى المشهد الأخير ليجسد مضمون القصة، ويبين موضع العبرة فيها، والهدف من ورودها، ويلخص الغاية المراد الوصول إليها، وهي قوة المولى –تعالى– وقدرته على العذاب في الدنيا والآخرة؛ ليزدجر من خالف أمره، وتعدى حدوده، وبخل، واستغنى.

يقول تعالى بعد أن سرد أحداث القصة : " كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " [القلم ٣٣]

أي هذا عذاب الله –تعالى– فى الدنيا وذلك بأن" يسلب الله العبد الشيء الذي طغى به، وبغى وآثر الحياة الدنيا، وأن يزيل عنه أحوج ما يكون إليه "[٥٧]

وعذاب الدنيا مهما عظم قليل بالنسبة لعذاب الآخرة، فما عذاب الدنيا إلا نقص فى الأموال، أو الأنفس، أو الثمرات، كما قال تعالى : " وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ " [البقرة ١٥٥]، أما عذاب الآخرة، فهو نار وقودها الناس والحجارة، أعدها المولى –تعالى– لكل من لم ينزجر، وأصر على فعل ما يوجب العقاب، ويحرم من الثواب.

وإذا نظرنا نظرة فاحصة فى قصة أصحاب الجنة، نجد أن عذابهم فى الدنيا لم يكن عظيما؛ إذ إن الله –تعالى– حرمهم من خير جنتهم فقط؛ لكنه أبقى لهم أنفسهم، وصحتهم، وذريتهم، وسائر أمواهم، كما يفهم من القصة، وهذا من رحمة الله –تعالى– بهم؛ ليتيح لهم الفرصة للتوبة، فكان هذا العذاب بداية الخير بالنسبة لهم؛ لأنه أعقبه توبة، وندم، ودعاء٠وحال أصحاب الجنة يشبه حال كثير من الناس، فالكثيرون –إلا من عصم الله– تلهيهم كثرة النعم عن ذكر الله، وعندما يحل عليهم سخط الله، ونقمه، يرجعون إلى ربهم، ويتوبون إليه. وفي أحيان كثيرة يكون فى باطن العذاب الرحمة، ويكون بداية إلى طريق الخير، والفلاح فى الدنيا والآخرة.

والله –تعالى– لا يقضي إلا بالخير، وإن بدا قضاؤه شرا لصاحبه، فإن من العباد ما لا يصلحهم إلا الشدة، فيذيقهم الله –تعالى– من عذابه الأصغر فى الدنيا؛ لعلهم يرجعون إليه تائبين منيبين، وفى ذلك يقول تعالى : " وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" [السجدة ٢١]

أما المؤمن فيكون عذاب الدنيا بالنسبة له كفارة لذنوبه، ورفعة لدرجاته.

وقبل أن أختم الحديث عن قصة أصحاب الجنة، أود أن أشير إلى لفتة جميلة، وهي أن الله –تعالى– ابتلى مشركي قريش، كما ابتلى أصحاب الجنة، وأنه لو كان

مشركو قريش أهل علم، وفهم لاتعظوا مما حدث لهم، بعد أن اغتروا بمالهم، وولدهم، وجحدوا أنعم الله عليهم، وعصوا رسوله –صلى الله عليه وسلم– وحاربوه؛ حيث أصابهم جدب استمر سبع سنوات، حتى رأوا الدخان، وأكلوا الجلود فما رجعوا ،ولا تابوا؛ لأنهم كانوا أهل جهل وضلال؛ لذا لم يتعظوا بما حدث لهم، وما حدث لأصحاب الجنة من قبلهم؛ لذا استحقوا عذاب الدنيا، وعظم عذاب الآخرة؛ لأنهم لم يتوبوا كما تاب أصحاب الجنة.

****

وتنتهي أحداث القصة، ويفنى زمانها، ويبقى موضع العبرة فيها، وهو قدرة الله –تعالى– وانتقامه من الظالمين العاصين لأوامره فى الدنيا، والآخرة. لقد مات أصحاب القصة، لكن النموذج الذي جسدوه للنفس الإنسانية، عندما يتملك منها الشح، لدرجة تجعلها هاضمة، أو باخسة لحقوق الله، وحقوق الناس، هذا النموذج مازال موجودا، ومتجددا فى كل زمان ومكان؛ لذا حذرنا الله –تعالى– من الشح والبخل، لما لهما من أضرار وخيمة على المستوى الشخصي، والاجتماعي، فالمال مال الله يقسمه كيف يشاء، والجميع سيفارق ماله عند موته، ويتمنى أن يرجع الدنيا مرة أخرى، من أجل أن يتصدق بماله، ويكون من الصالحين.

وما أبلغ الختام بقوله –تعالى– : " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " [التغابن : ١٦]

المبحث الثالث

أهم الدروس المستفادة من قصة أصحاب الجنة

هناك كثير من الدروس والعبر التى يمكن أن نستلهمها من قصة أصحاب الجنة، وسوف أتحدث باختصار عن درسين من أهم هذه الدروس المستوحاة من القصة

الدرس الأول : ذم البخل والشح

البخل والشح من أرذل الصفات التى يمكن أن يتصف بها إنسان، وأسوئها، فكفى بهما إثما أنهما يمنعان صاحبهما عن الإنفاق، حتى فى الأمور الضرورية؛ لأن الإنفاق فى حد ذاته حمل ثقيل على نفس البخيل؛ حتى وإن امتلك الكثير، فهو دائما يمسك فى موضع، لا يحق له الحبس فيه(٥٨)

والإنسان الشحيح أسوأ من البخيل؛ لأنه يجمع ما بين البخل والحرص، **فالبخيل** قد يكون كريما على نفسه، بخيلا على غيره، **أما الشحيح** فهو يبخل على نفسه، وعلى غيره؛ بل ويبخل من مال غيره، أى أنه يكره أن يرى أحدا ينفق المال لأي سبب، ويشترك البخل مع الحسد فى أن " صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير، ثم يتميز البخيل بعدم دفع ذي النعمة شيئا، والحاسد يتمنى أن لا يعطي أحدا شيئا "(٥٩)

وكفى بالبخل إثما أن يكون سببا فى ضعف إيمان صاحبه؛ لأن البخيل يخشى الإنفاق من ماله، أو التصدق منه؛ حتى لا ينقص ويزول فى اعتقاده، وهذا من سوء ظنه بالله–تعالى– وأنه لن يرزقه بغير هذا المال(٦٠)

والبخيل محروم دائما من الأجر المترتب على الإنفاق فى سبيل الله، ومحروم كذلك من الاستمتاع بمتع الدنيا المباحة، وإلى جانب ذلك فالجميع لا يحبه، حتى أقرب الناس إليه؛ وبذلك تُدمر أواصر المحبة بينه وبين أسرته ومجتمعه؛ لدرجة تمنى أقرب الناس إليه موته؛ جتى يستمتعوا بالمال من بعده.

وقد يرتبط **بالبخل** صفات أخرى مذمومة، وفى ذلك يقول الماوردى: " يحدث عن البخل أربعة أخلاق مذمومة، وهى الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق، **فأما الحرص** فهو شدة الكدح والإسراف فى الطلب، **وأما الشره** فهو استقلال الكفاية، والاستكثار لغير حاجة، **وأما سوء الظن** فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل، فإن كان بالخالق كان شكا يؤول إلى ضلال، وإن كان بالمخلوق كان استخانة يصير بها مختانا، وخوانا؛ لأن ظن الإنسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه، **وأما منع الحقوق** فإن نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها "(٦١)

والبخل لا يمكن أن يكون من صفات السادة، ولا العظماء، فالبخيل لا يسود قومه، وهذا ما فعله الرسول –صلى الله عليه وسلم– عندما قال لبني سلمة : " من سيدكم يا بني سلمة؟ قلنا: الجد بن قيس. على أنا نبخله ، قال أى داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح "(٦٢)

فقد غير الرسول –صلى الله عليه وسلم– سيد بنى سلمة لبخله؛ لأن البخيل يكون مكروها من الله ومن الناس، وولى عليهم عمرو بن الجموح لكرمه.

وقد يكون الشح سببا فى هلاك الإنسان، وارتكابه للفواحش والكبائر، وهذا ما حذرنا منه الرسول –صلى الله عليه وسلم– فى قوله: " واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم "(٦٣)

وفوق ذلك فقد أخبرنا الرسول –صلى الله عليه وسلم–أن الملائكة تدعو على كل بخيل بضياع ماله، وإتلافه، كل صباح، فيقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– : " ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا "(٦٤)

ولأن النفس الإنسانية مجبولة على الطمع، وتمنى المزيد(٦٥)حذرنا الله تعالى من الانسياق وراء هوى النفس، الذى يؤدى بنا إلى البخل والشح، فى غير آية كريمة؛ إذ إن مال الإنسان لن ينفعه، إن لم يوجهه فى الخير. ومن هذه الآيات قوله تعالى:" وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ٠ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ٠ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ" [الليل٨–١١]، وقوله تعالى : " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " [آل عمران ١٨٠]

فالمولى –تعالى– يحذرنا من البخل الذي يزرع الأنانية فى نفس صاحبه، ويجعل قلبه قاسيا خاليا من الرحمة؛ لأن ذلك سيعود بالشر على صاحبه أول ما يعود؛ فالبخل داء عضال يهلك صاحبه، وفوق ذلك سيزرع الحقد فى قلوب الفقراء تجاهه، فكم من الثورات الدامية قامت بسبب استئثار الأغنياء بخيرات مجتمعاتهم، وتضخم رءوس أموالهم، دون أن يلتفتوا إلى العامة الذين يعانون من الحرمان، فينقلبوا عليهم ويدمروا ممتلكاتهم، ويستولوا عليها ما استطاعوا؛ وبذلك يكون بخلهم وبالا عليهم فى الدنيا قبل الآخرة.

كما أن البخل يورث النفاق فى نفس صاحبه وقلبه؛ وذلك بأن يمنعه بخله من أن يؤدي حق الله–تعالى– عليه، ظنا منه أن ماله سيقل، ونسي أن زيادة المال وبركته في زكاته(٦٦)، وهؤلاء هم المقصودون من قوله تعالى: " وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ٠ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ٠فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " [التوبة ٧٥ – ٧٧]

فالمنافق هو الذي يخالف عهده مع الله –تعالى– دائما ، ويسيئ الظن به–تعالى– وتصور له نفسه الأمارة بالسوء أنه –تعالى– لن يرزقه بمال آخر، فيبخل خشية الفقر، وينسى أن نماء المال فى زكاته؛ وبذلك يظلم نفسه، وغيره، وما الله بغافل عما يفعل الظالمون، والله من ورائهم محيط.

وأعظم درجات البخل أن يبخل الإنسان على نفسه، مع حاجته الشديدة، كمن يمرض ولا يتداوى، وهو يمتلك المال٠ أو يشتهي الشئ المحلل فيمنعه منه بخله، وفرق كبير بين " من بخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة "(٦٧)

ولا شك في أن البخل لا يضر إلا بصاحبه، وهو لا يمنع رزق الله عن عباده، وما أبلغ قوله تعالى : " هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم " [محمد ٣]

وأخيرا يمكننا القول إن البخيل يعيش فى الدنيا عيشة الفقراء، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء، أي يعيش محروما من زينة الدنيا المباحة، ويحرم على نفسه الطيبات من الرزق، هو ومن يعولهم، ويحاسب على ذلك في الآخرة، وبذلك تعود عواقب بخله عليه، قبل أن تعود على من تخيل أنه منعه من ماله.

وهناك فرق كبير بين الشح والاقتصاد(٦٨)، **فالشح** صفة مذمومة، تتولد دائما من ضعف النفس، وسوء الظن بالله –تعالى– كما سبق أن ذكرت، وهذا بدوره يفتح للشيطان مدخلا إلى نفس صاحبها، حتى تجعله يجزع ويهلك دائما من الفقر، وبالتالي يمنع الخير، وهذا ما أشار إليه الله –تعالى– في قوله: "إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا٠ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا" (المعارج ١٩_٢١)، أما **الاقتصاد** فهو فضيلة تتولد من العدل والحكمة في البذل والمنع، أي صفة وسطى بين رذيلتين، هما البخل والإسراف، وذلك ما أشار إليه الله –تعالى– في قوله : "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا " [الإسراء ٢٩]، وهو كذلك صفة من صفات عباد الرحمن الذين مدحهم المولى –تعالى– بقوله : " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا " [الفرقان ٦٧]

الدرس الثاني : الرحمة بالفقراء

الفقر من أهم المشكلات التي تؤثر على الإنسان، وأكثرها خطورة؛ إذ إنه قد يؤثر على عقيدة الإنسان، أو فكره، أو سلوكه، أو ثقافته؛ لذا اهتم المولى –تعالى– بالفقراء وأصحاب الحاجات، وجعل لهم حقوقا مفروضة فى كل الأديان السماوية (٦٩)، وأول هذه الحقوق إيتاء الزكاة؛ حيث قرنها المولى تعالى بإقامة الصلاة فى دعوة جميع الأنبياء، ومن ذلك قوله تعالى: " وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ" [الأنبياء : ٧٣]، وقوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ " [البقرة ٨٣]

وعندما أشرق الإسلام بنوره عالج مشكلة الفقر بإيجابية؛ إذ دعا إلى العمل الجاد، والسير فى الأرض لابتغاء الرزق؛ ليسد كل إنسان احتياجاته، ويتكفل بمن يعول. ولكن هناك من يعمل ودخله لا يكفيه، أولا يكفي من يعولهم، وهناك من لا يقوى على العمل ويظل فقيرا إلى غيره فى سد احتياجاته، ومن هنا تتولد مشكلة الفقر، وهى من المشكلات التى أولاها الإسلام عناية كبيرة فوجه الأنظار إلى ضرورة سد احتياج الفقراء، والرحمة بالضعفاء؛ ليزرع خلق التحاب، والتعاون، والتسارع على فعل الخير بين أفراد المجتمع، فمن لم يرحم الضعيف، ويعطف على الفقير ليس من المسلمين، وما أبلغ قول الرسول – صلى الله عليه وسلم– فى هذا المقام: " ابغوني ضعفاءكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم "(٧٠)

وذلك لما للفقر من خطورة كبيرة، تهدد أمن الأسرة، والمجتمع، واستقرارهما الخلقي، والاجتماعي، والاقتصادي؛ فإذا جاعت البطن خرج صاحبها عن رشده، وأصبح كالوحش الكاسر، الذي يتخطى كل الحدود والحواجز.

وقد اتخذ الإسلام عدة طرق للحد من مشكلة الفقر؛ بل ومحاربته، وتطبيق مبدأ التكافل بين المسلمين

وأول هذه الطرق : فرض الزكاة

والزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام، فرضها المولى –تعالى– على من امتلك نصابها، وانطبقت عليه شروطها(٧١)

وتأكيدا على وجوب تأدية الزكاة، توعد المولى –تعالى– في كتابه الكريم كانز الذهب والفضة، الذي لا يؤدي حق الله فيهما، بأن يعذب بما اكتنزه يوم القيامة، وفي ذلك يقول الله –تعالى–: " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ " [التوبة : ٣٤–٣٥]

ويقول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم–: " من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مُثِل له يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه –يعني بشدقيه– ثم يقول أنا مالك، أنا كنزك " ثم تلا ((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ)) الآية "(٧٢)؛ وذلك ليعلم كل من يمتلك النصاب، أن المال مال الله، والرزق رزقه، وهو –تعالى– الذي فرض فيه هذا الحق المعلوم، وأن صاحب المال مستخلف فيه في الدنيا، ولا يحق له أن يتصرف فيه وفق هواه؛ لأنه سيحاسب عليه في الآخرة، إن لم يطبق ما أمر الله به، يقول تعالى : " وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " [المعارج : ٢٤–٢٥] ، فعلى الأغنياء إخراج هذا الحق من أموالهم، وتوصيله إلى الفقراء، بلا فضل أو منة. وبهذا تحفظ كرامة الفقراء، ولا يكونون تحت رحمة الأغنياء، إن شاءوا أعطوهم، وإن غلبت عليهم شهوة المال، وسطوته ضاعوا.

وثانى الطرق : الصدقات

وهى من أهم طرق التراحم والتآلف بين الناس، وهى مال غير محدد القدر كالزكاة، يجود به من له فضل حاجة على من لا حاجة له؛ تقربا إلى الله، وابتغاء مرضاته، وتلبية لأمره–تعالى– بالإنفاق فى غير آية كريمة، من مثل قوله تعالى" فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ " [الحديد : ٧]، فقد ربط الله –تعالى– الإيمان بالإنفاق فى الآية السابقة

وفى آية ثانية يخبرنا المولى تعالى أن الإنفاق سبب من أسباب استحقاق الرحمة فى الآخرة، فيقول عز من قال: " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ " [الأعراف :١٥٦]

وفى آية ثالثة يرشدنا المولى –تعالى– إلى أننا لن نبلغ البر، الذي يوصلنا إلى الجنة؛ حتى نجود وننفق فى سبيل الله من أكثر الأشياء التى نحبها، طيبة بذلك نفوسنا، من غير من أو أذى، وفي ذلك يقول الله تعالى: " لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ " [آل عمران : ٩٢]

وإلى جانب ذلك وعد الله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل طاعته –تعالى– ومرضاته، بأن يضاعف هذا الإنفاق لمن يشاء بلا حد، بقدر الإخلاص والصدق في النفقة، يقول الله تعالى: " مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " [البقرة : ٢٦١]

وإلى جانب ذلك فللزكاة والصدقات فضل كبيرفي نماء مال أصحابها، وطهارته، فهما في صالح الأغنياء قبل الفقراء، فبهما تزكى نفوس الأغنياء، وتروض على فعل الخيرات، وفوق ذلك تكسبهم حبا من جانب الفقراء يشرح صدورهم انشراحا لا يشعر به إلا من جبل على الجود والعطاء، وتخلصهم من شهوة جمع المال، هذا إلى جانب البركة التى ستحل على حياتهم، فما نقص مال من صدقة؛ وبذلك يكتمل الإسلام، ويصدق الإيمان، وتزكى الأخلاق، وننال رضا الله وجناته التى هى غاية كل إنسان.

وعلى الجانب الآخر تطهر نفوس الفقراء من الحقد، والحسد تجاه الأغنياء، وبالتالي تقل السرقات إلى حد كبير، ويشعر الغني بالأمان، ويقل التفاوت الطبقي في المجتمع الإسلامي، وترتفع روح الأخوة، ولم يبق بين المسلمين أحد يعاني من الحرمان، فمن لا يكفيه عمله، أو لا يستطيع أن يعمل يجد كفايته فى الزكاة، وإن نفدت أموال الزكاة ففي الصدقات غنية، وبذلك يشعر الفقير أنه لم يخلق في هذه الحياة وحيدا؛ بل هناك دائما من يقف بجانبه، ويمد له يد العون، وهو بكامل عزته، ووافر كرامته.

ولن يتحقق ذلك كله إلا بعد أن يتيقن الغني أن ما رزقه الله –تعالى– به إنما هو له، وللآخرين من المحتاجين ؛ وبذلك يشعر بآلام المحتاجين، ويعيش مشكلاتهم كما لو كان منهم.

وجدير بالذكر أن ديننا الحنيف، فتح لنا طرقا متعددة للإنفاق، ومساعدة المحتاجين غير الزكاة والصدقات، من مثل الكفارات المختلفة ، والنذور، والفدية، والوقف، والهبة، والعطية، والهدية، وسائر التبرعات.

وثالث الطرق : إطعام الطعام

ويعد إطعام الطعام سمة من أعظم سمات ديننا الحنيف، وهو من أعظم طرق الإحسان إلى الفقراء، ومن أكثر الحقوق ضرورة لحياة الإنسان، وواجب على المجتمع المسلم كله أن يوفره لمن لا يمتلكه، فليس من المسلمين من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم.

ومن الآيات الكريمة التى أكدت على إطعام الطعام؛ بل وجعلته سمة من سمات الأبرار قوله تعالى: " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا " [الإنسان : ٨-٩]

ولأهمية الطعام ربط المشرع –تعالى– أعياد المسلمين وعبادتهم بإطعام الطعام، فزكاة الفطر طعام، والأضحية طعام، والهدي طعام، والعقيقة طعام، والكفارات والنذور ممكن أن تكون إطعام طعام، والمستفيد من ذلك كله فقراء المسلمين ومساكينهم؛ وذلك ليسدوا احتياجاتهم الأساسية، ويستطيعوا أن يشاركوا سائر المسلمين الفرح بالأعياد والمناسبات المختلفة، وهم مطمئنون فى سربهم، عندهم قوت يومهم.

وعلى الجانب الآخر فقد جعل الله تعالى البخل بالإطعام، أو الحض على ذلك، سمة من سمات المجرمين، وأهل الشقاء ، ويؤكد ذلك قوله تعالى: " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ " [المدثر : ٣٨- ٤٤]

وقوله –تعالى– عمن يؤتى كتابه بشماله: " أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ " [الماعون ١-٣] ، فالكفار المكذبون قساة القلوب هم الذين لا يحضون غيرهم، فضلا عن أنفسهم على إطعام المساكين، ويدفعون اليتامى بقوة ليقهروهم؛ لأنهم لا يخافون الله تعالى ولا يرجون ثوابه.

وفي نهاية الحديث عن أهم الطرق التي اتخذها الإسلام لمحاربة الفقر، أود أن أذكر طريقا مهما قد يغفل عنه الكثيرون، ألا وهو الاستغفار، والمداومة عليه بيقين، فهو يجلب الرزق للإنسان من حيث لا يحتسب، ويؤكد ذلك قوله تعالى على لسان نبيه نوح – عليه السلام– : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا" [نوح : ١٠ – ١٢]

وبهذه الحلول الإيجابية يمكننا القضاء على مشكلة من أخطر المشكلات التي تواجه البشرية، وفي أحكم صورة، وبرضا بل وبمسارعة من الأغنياء، يقابلهما شكر ودعاء من الفقراء؛ وبذلك يترابط المجتمع، ويحمى من آفة كفيلة بالقضاء عليه، ومصيبة استعاذ منها الرسول –صلى الله عليه وسلم– في قوله " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر " (٧٣)

وليس ذلك بالأمر الصعب؛ ولنأخذ العبرة بما فعله خامس الخلفاء الراشدين – رضي الله عنه– الذي تولى خلافة المسلمين ما يقرب من عامين ونصف، قضى فيهما على مشكلة الفقر فى العالم الإسلامي آنذاك، ومن أموال الزكاة فقط(٧٤)، فلم يعد هناك بين المسلمين فقير، أو مديون، أو من لا يمتلك بيتا يسكن فيه، أو دابة تحمله، وفاض بيت المال بالأموال؛ لدرجة أنه لم يوجد في أثناء خلافته مسلم يسأل عن الصدقة۰ وهكذا تصبح حياة المسلمين حينما يقام العدل في الأرض، ولا ننسى أن الفقر عمّ على البلاد الإسلامية، بعدما بخل أغنياء المسلمين بزكاتهم، وقلت صدقاتهم؛ حتى أصبحت جل بلاد المسلمين من أكثر البلدان فقرا، وانتشرت فيها الفوضى والسرقات، وزادت فيها الطبقية إلى حد كبير، ولم ولن ينصلح حال المسلمين إلا بالعودة إلى روح الجسد الواحد، الذي إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد، فلا يسعني في نهاية بحثي إلا أن أرصد أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، وتوصيات، وهي

١ – القصة في اللغة تدور حول عدة معان، وهي تتبع الأثر، وجمع الأخبار وروايتها، سواء أكانت مستلهمة من الواقع، أو منسوجة من وحي الخيال.

٢ – القصة فى الاصطلاح مستوحاة من الواقع التاريخي للأمم والشعوب بأسلوب بليغ، يظهر لونا من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم، وقوة بلاغته، وهي إحدى وسائل تبليغ الدعوة، ومن أكثرها تأثيرا على المدعوين.

٣ – تتميز القصة القرآنية بالواقعية، مع الجاذبية في العرض، والشمولية في الموضوع، والعلو في الهدف، والبلاغة في الأسلوب، والمعجزات التي أيد الله –تعالى– بها رسله وصفوة خلقه.

٤ – التكرار في القصة القرآنية يكمل أحداثها، ولا يعيد الحدث نفسه، ولم يأت التكرار إلا مع قصص الأنبياء، والمرسلين.

٥ – تركز القصة القرآنية على مواضع العبرة، والعظة للاهتداء بها، كما تركز كذلك على مواضع الإثم، والغواية لاجتنابها.

٦ – اختلف العلماء حول تقسيم أنواع القصة القرآنية إلى ثلاثة آراء، بعضها اعتمد على طبيعة أشخاصها، وبعضها اعتمد على حجمها، والثالث اعتمد على بنائها الموضوعي.

٧ – من أهم أهداف القصة القرآنية، تثبيت قلب الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق، وإثبات الوحي والرسالة، وتعليم المسلمين فضائل الأخلاق، والاعتبار والعظة.

٨ – قصة (أصحاب الجنة) من القصص المعروفة لدى قريش قبل الإسلام، ومتداولة بينهم؛ لذا شبه الله ابتلاءهم بابتلاء أصحاب الجنة.

٩ – الأموال تُحمى بالصدقات، فمن يؤدي حق الله –تعالى– في ماله يبارك الله له فيه، مثل صاحب الجنة، ومن يتهرب من إخراج حق الله يحرمه الله من ماله، كما حدث لأبناء صاحب الجنة، فالجزاء من جنس العمل.

١٠ – إذا أراد الله بعبده الخير عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا؛ لينبهه ويكفر ذنبه، ولو أخر الله العقاب كله إلى يوم القيامة، لهلك كثير من الناس.

١١ – الأعمال بالنيات، والمكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، وإخلاص النية شرط من شروط قبول أي عمل.

١٢ – عندما تسوء العاقبة يتنصل كل شريك من شريكه الآخر، ويتوجه باللوم إليه ليبرئ نفسه.

١٣ – الاعتراف بالذنب أول الطريق إلى التوبة، والندم يعيد النعم، والتوبة تكفر الذنوب.

١٤ – البخيل ضعيف الإيمان يسيئ الظن دائما بالله، ولا يمكن أن يسود قومه.

١٥ – ذمّ الإسلام البخل والشح، ودعا إلى البذل والكرم والعطاء ومساعدة الناس، وهذا هو الاستثمار الحقيقي مع الله.

١٦ – عالج الإسلام مشكلة الفقر بإيجابية غير مسبوقة؛ إذ دعا إلى العمل الجاد والضرب في الأرض، وفرض الزكاة على الأغنياء، وحبب إليهم الإنفاق من خلال الصدقات، وإطعام الطعام.

- وبعد فما زال مجال التفسير مجالا بكرا، وتربته خصبة للدراسات الجادة الهادفة التى ترشد الناس لأهمية الالتفاف حول مائدة القرآن الكريم، للهداية والاسترشاد بهديه فى كل

كبيرة وصغيرة من جوانب الحياة المختلفة؛ حتى نحقق الأهداف المرجوة من نزول القرآن الكريم، ونفوز برضا الله وبالسعادة فى الدارين.

Abstract

Quranic story and its role in guiding human beings

By Naglaa Abdo Muhamed

Varied methods of guidance in the Quran to suit the different nature of humans, and one of methods of guidance which take special care and attention by the Holy Quran is story, The Quantic story characterized by realistic, and high purpose, frequency which supplements, and not repeat the same event, focusing on the outboard lesson, morals to follow it, and the sinful positions to avoid it, and it is one of the earliest methods of guidance and easiest understanding and memorization.

The story of the owners of the garden of stories known to the Qurush and reflect the image of humanitarian restraint that was dominated by greed degree that forget the right of Allah, An who don't gave the right of Allah deprives him of all money, that and the Islamic religion has addressed the problem of poverty and scarcity of unprecedented positive didn't reach any civilization.

الهوامش:

[١]– انظرالقاموس المحيط ٢ /٣١٣

[٢]– المفردات فى غريب القرآن، ٤٠٥

[٣]– الكليات، ٣٧٤

[٤]– راجع لسان العرب " قصص " ٧ /٧٣–٧٤

[٥]– انظر بحوث فى قصص القرآن، ٤١–٤٢، وقد استوحى هذا المعنى من صاحب قاموس " مختار الصحاح " حيث قال إن" القِصص " بالكسر هى جمع القصة التى تكتب، والقصة بالفتح: الجص وهى لغة حجازية، والقصة بضم القاف شعر الناصية" مختار الصحاح ، باب القاف ٤٧٣

[٦]– البيان القصصي في القرآن : ١٨

[٧]– القصص القرآنى فى مفهومه ومنطوقه، ٤٥

[٨]– ولأهمية القصة كأسلوب من أساليب الدعوة والهداية مثلت القصة ما يقرب من ربع آيات القرآن الكريم ؛ حيث ذكر الزركشي أن عدد آيات القصص فى القرآن ألف و خمسمائة آية وعدد آيات القرآن كله ستة آلاف ومائتين وأربع آيات، انظر البرهان، ١ /٨٩

[٩]– انظرالقصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، ٤٠

[١٠]– انظر موسوعة القرآن الكريم ١ /٨٣١

[١١]– هو الدكتور / محمد أحمد خلف الله، فى رسالته التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه، فى كلية الآداب جامعة القاهرة، عام ١٣٦٧ هجرية، وكانت الرسالة بعنوان (الفن القصصي فى القرآن)، وقد أثارت هذه الرسالة جدلا كبيرا فى ذلك الوقت، و نقدها أحد أعضاء لجنة المناقشة وهو أ / أحمد أمين نقدا لاذعا، وقدم هذا النقد فى تقرير إلى عميد الكلية آنذاك، وقد نشر هذا التقرير فى مجلة الرسالة. والدكتور خلف الله بنى رسالته على أن: القصص القرآنى عمل فنى خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار، من غير التزام لصدق التاريخ، كما ذكر أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– فنان بهذا المعنى، ويمكنه أن يختلق بعض القصص، ولا يشترط أن يلتزم بالصدق التاريخي، إنما شأنه كشأن أى أديب يصور الأحداث تصويرا فنيا، وعلى هذا الأساس بنى رسالته من بدايتها إلى نهايتها، ولمعرفة المزيد راجع، نظرات شرعية فى فكر منحرف، ١٩ وما بعدها

[١٢]- مائة سؤال عن الإسلام، ١٥٥ - ١٥٦

[١٣]- انظر، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، ١٨٠ وما بعدها

[١٤]- لمعرفة المزيد من التفاصيل حول الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية راجع، القصص القرآني للخالدي ١ / ٢٩-٣٠ ، وراجع كذلك القصة القرآنية هداية وبيان، ١٨ ، وبحوث فى قصص القرآن، ٤٧-٤٨ ، والقصص القرآنى فى مفهومه ومنطوقه، ٣٩ ، والقصة فى القرآن، ٤٦ ، وقصص القرآن الكريم، لفضل عباس حسن ، ٤١

[١٥]- و الحكمة فى ذلك ترجع إلى عدة أمور منها ، بيان بلاغة القرآن الكريم وقوة أعجازه ، واختلاف الغاية التى تساق القصة من أجلها ، ولمعرفة المزيد انظر، الإتقان ١٤٥/٢ ، وانظر كذلك الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ، ٢٩٠ وما بعدها ، وأسرار التكرار فى لغة القرآن، ٧٧

[١٦]- القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ٦٤

[١٧]- لمعرفة المزيد عن أسرار التكرار وجماله فى القصة القرآنية راجع، البرهان ٢٥/٣-٢٦

[١٨]- لمعرفة المزيد راجع، الإتقان ٢ / ١٥٠ -١٥١

[١٩]- ولمعرفة المزيد عن خصائص القصة القرآنية راجع، الوجدة الموضوعية فى القرآن الكريم ، ٣٠٦-٣١٥ ، وانظر كذلك القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٧/١ وما بعدها ، وخصائص القصة الإسلامية ، ٢٢٤ وما بعدها ، والبيان القصصي فى القرآن، ١١١ وما بعدها ، والتصوير الفني فى القرآن، ١١١

[٢٠]- انظر مباحث في علوم القرآن، ٣٠٦ ، وانظر كذلك، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٨/١

[٢١]- وقد بنى أصحاب هذا الرأي آراءهم بناء على حجم ورود القصة فى القرآن الكريم من حيث الإطناب و الإيجاز، راجع التصوير الفني فى القرآن ، ١٢٧-١٣٠

[٢٢]- راجع ، خصائص القصة القرآنية، ٧٤-٧٥

[٢٣]- لمعرفة المزيد عن أهداف القصة فى القرآن انظر، القصة فى القرآن، ٥/١-٦ ، وانظر كذلك قصص القرآن الكريم، لفضل عباس حسن، ٣٦، والقصص القرآنى إيحاؤه ونفحاته ١٠ ، والقصة القرآنية هداية وبيان ١٥ ، والبيان القصصي فى القرآن ١١١-١١٢، والموسوعة القرآنية المتخصصة ٣٠١-٣٠٢

[٢٤]- تفسير الطبرى ٤ / ٣٩٨

[٢٥]- والمقصود بالجنة، البستان ، وهو الحديقة التى تسور بالأشجار وتحتوى على أنواع مختلفة من أشجار الفواكه والنخيل، وسميت جنة من الاجتنان وهو الستر ، أى أن ما بداخلها مستتر لتكاتف الأشجار حولها وتظليلها بالتفاف أغصانها انظر لسان العرب ، حنن ٣ / ٢٢١ وانظر كذلك البحر المحيط ١٠ / ٢٤١

[٢٦]- انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٠١ ، وانظر كذلك فتح القدير ٥ / ٢٧١، وتفسير المراغى ٢٩ / ٣٦

[٢٧]- انظر تفسير ابن كثير ٤ /٥٠١ ، وانظر كذلك النكت والعيون ٦ /٦٧

[٢٨]- انظر فتح القدير ٥ / ٢٧١

[٢٩]- انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٠٠ ، وانظر كذلك زاد المسير ٨ / ٢٣٥

[٣٠]- وهذا القول منقول عن ابن عباس ، وقيل إن صاحبها كان يهوديا انظر التحرير والتنوير ٨٠/٢٩ ، وانظر كذلك النكت والعيون ٦٧/٦

[٣١]- انظر تفسير ابن كثير ٥٠١/٤ ، وانظر كذلك النكت والعيون ٦/ ٦٧

[٣٢]- انظر : نظم الدرر ٣٠٦/٨-٣٠٧، وانظر كذلك البحر المحيط ٣٠٧/١٠

[٣٣]- انظر جامع البيان ٢٩/ ٣٥٠ ، وانظر كذلك التفسير الكبير ٣٠ / ٦٠٧ ، والتحرير والتنوير ٧٩/٢٩

[٣٤]- النكت والعيون ٦ / ٦٧

[٣٥]– انظر تفسير ابن كثير ٥٠٠/٤

[٣٦]– وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم " اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وأهل المشرق يومئذ من مضر مخالفون له " رواه البخارى ، باب (يهوى بالتكبير من يسجد) ، جزء من حديث رقم ٨٠٤ ، ١٦٠/١

[٣٧]– انظر نظم الدرر ٣٠٦/٨ ، وانظر كذلك زاد المسير ٢٣٥/٨ ، والمحرر الوجيز ٨٤/١٦

[٣٨]– والمقصود هو الوليد بن المغيرة ، وقيل الأخنس بن شريق، وقيل الأسود بن عبد يغوث، وكلهم خاصموا الرسول –صلى الله عليه وسلم– أمدا طويلا، والأرجح أنه الوليد، وهو أحد صناديد المشركين، ومن كبراء قريش الذين أنعم الله عليهم بالمال والبنين فقابل ذلك كله بالكفر و التكذيب، وهو الذى عرض أن يعطى النبي –صلى الله عليه وسلم– مالا إن رجع عن دينه، وقد وصفه الله تعالى بتسع صفات ذميمة قبل ذكر قصة أصحاب الجنة، وذلك فى قوله تعالى : " وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ۰ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ۰ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ۰ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ۰أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ۰ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " (القلم ١٠ _١٥) ، انظر تفسير الآيات السابقة في النكت والعيون ٦٣/٦ ، وانظر كذلك فى ظلال القرآن ٣٦٦٢/٦

[٣٩]– تفسير المراغي ٢٩ / ٣٥ ، وانظر كذلك التفسير الواضح ٣ / ٨٢_٨٣

[٤٠]– والصرم هو جذ الثمر وتناوله، ولفظ الصرم أبلغ في هذا الموضوع من القطع؛ لأن الصرم قطع من الجذور وهو قريب من القلع، انظر المفردات ، كتاب الصاد، ٢٨٣

[٤١]– التحرير والتنوير، ٨١/٢٩

[٤٢]– المعجزة الكبرى، القرآن، ١٣٦

[٤٣] – انظر المفردات، كتاب الطاء، ٣١٣

[٤٤]– ولمعرفة المزيد من المعاني راجع، البحر المحيط ٢٤١/١٠_٢٤٢ ، وراجع كذلك التفسير الكبير ٣٠/ ٨٨ ، والنكت والعيون ٦٧/٦_٦٨

[٤٥]– انظر في ظلال القرآن ٣٦٦٥/٦ ، وذكر ابن عاشور أن الله –تعالى– لم يعين جنس الطائف، لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك ، والعبرة ليست بنوعه إنما في الحاصل به، انظر التحرير والتنوير ٨١/٢٩

[٤٦]– سنن الترمذي ، باب (ما جاء في الصبر على البلاء)، حديث رقم (٢٣٩٦)، ٤ /٦٠١

[٤٧] – انظر البحر المحيط ٢٤٢/١٠ ، كما أن كمة "يتخافتون" تصوير لحال أصحاب الجنة الحسي ولأمرهم النفسي ولمعنى المنع؛ لأن الامتناع عن الخير لا يكون إلا بإصرار النفوس، والتفاهم في السر، لمزيد من التفاصيل راجع المعجزة الكبرى القرآن، ١٣٧–١٣٨

[٤٨]– صحيح البخاري ، باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)، حديث رقم (٣١) ، ١ /١٥

[٤٩] – المعجزة الكبرى القرآن ١٣٨ ، ولمعرفة المزيد راجع، التفسير الكبير ٦٠٤/٣٠ – ٦٠٥ ، وراجع كذلك البحر المحيط٢٤٣/١٠

[٥٠]– انظر المحرر الوجيز ٨٣/١٦

[٥١]– أي لم يقولوا : إن شاء الله، وسمي الاستثناء تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته، انظر النكت والعيون ٦٩/٦، وذكر ابن كثير عن السدى أن الاستثناء في ذلك الزمان كان تسبيحا، انظر تفسير ابن كثير ٥٠١/٤، وقيل إن أوسطهم طريقة نصحهم بأن يستغفروا من فعلتهم، ويتوبوا إلى الله من هذه النية التي عزموا عليها، انظر فتح القدير ٢٧٢/٥_٢٧٣

[٥٢]– في ظلال القرآن ٣٦٦٦/٦

[٥٣]– راجع : تفسير المراغي ٢٩ / ٣٨ ، وانظر كذلك : تفسير ابن كثير ٤ / ٥٠١

[٥٤]– فى ظلال القرآن ٦ / ٣٦٦٦

[٥٥]– انظر الكشاف ٤ / ٥٩٢

[٥٦]– تفسير السعدى : ٨٨٠

[٥٧]– تفسير السعدى ، ٨٨٠

[٥٨]– انظر المفردات : ١٠٩

[٥٩]- الكليات، ٢٤٢
[٦٠]- انظر تفسير القرطبي ٥: /١٢٦
[٦١]- أدب الدنيا والدين، ٢٩٩
[٦٢]- الأدب المفرد بالتعليقات ، باب (البخل) ، ١٥٣
[٦٣]- صحيح مسلم ، كتاب (البر والأدب والصلة) ، باب (تحريم الظلم) ، حديث رقم (٢٥٧٨) ، ١ /١٩٩٦
[٦٤]- صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) حديث رقم (١٤٤٢) : ١ / ١١٥
[٦٥]- يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–:محذرا من الطمع وعدم القناعة : " لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب " صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب (ما يتقى من فتنة المال) حديث رقم ٦٤٦٣ ، ٨ / ٩٢
[٦٦]- انظر تفسير القرطبي ٥ / ١٢٦
[٦٧]- مختصر منهاج القاصدين، ٤٥٢
[٦٨]- لمزيد من التفاصيل راجع ، الروح لابن القيم ، ٥٢٩_٥٣٠
[١] – للمزيد من التفاصيل حول عناية الأديان عامة بالفقراء، انظر فقه الزكاة: ٤٧–٥٢
[٧٠]- سنن الترمذي ، باب (ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين)، ٤ / ٢٠٦
[٧١]- راجع : تعريف الزكاة وشروطها ومصارفها في، الفقه على المذاهب الأربعة ١ / ٥٣٥ وما بعدها ، وراجع كذلك، الفقه الإسلامي العام ٣ / ١٥٢ وما بعدها
[٧٢] – صحيح البخاري، كتاب (الزكاة) ، باب (إثم مانع الزكاة) ، حديث رقم (١٤٠٣)، ١٠٦/٢
[٧٣]- سنن أبي داود ، كتاب (الأدب) ، باب (ما يقول إذا أصبح) جزء من حديث رقم (٥٠٩٠) ، ٤ / ٣٢٤

٢- ولا غرو في ذلك فحصيلة أموال الزكاة- إن التزم جميع المسلمين بها- اثنان ونصف في المائة في كل عام من أصل رءوس الأموال النقدية ، و خمسة أو عشرة في المائة من جميع المحاصيل الزراعية ، هذا إلي جانب زكاة الذهب والفضة لمن يمتلك نصابهما، و زكاة الأنعام، وزكاة الركاز وهي كنوز الأرض كل ذلك يمثل نسب كبيرة من الأموال كل عام

ثبت المصادر والمراجع

١) أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، للدكتور عبد الجواد المحص، الدار المصرية، الاسكندرية ٢٠٠٠م
٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي(ت ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت
٣) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق ياسين محمد النواس، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٥ / ١٩٩٥م
٤) الأدب المفرد بالتعليقات، للبخاري، تحقيق سمير بن أمين الزهيري مستفيدا من تعليقات الشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م
٥) أسرار التكرار في لغة القرآن، لمحمد السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ
٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
٧) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق جمال حمدي الذهبي وإبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ /١٩٩٠م
٨) بحوث في قصص القرآن، للسيد عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية عشرة ، ١٩٧٢م
٩) البيان القصصي في القرآن الكريم، لإبراهيم عوضين، دار الأصالة، الرياض، الطبعة الثانية،١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م

١٠) التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السادسة،١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م
١١) تفسير التحرير والتنوير، لمحمد طاهر بن عاشور، الدار التونسية، د.ت
١٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م
١٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق كمال علي الجمل، دار الكلمة، المنصورة، مصر الطبعة الأولى،١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م
١٤) التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت
١٥) تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م
١٦) التفسير الواضح ، لمحمد محمود حجازي، دار التفاسير، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٠٠ /١٩٨٠م
١٧) تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، لعبد الرحمن ناصر السعدي، قدم له عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، ومحمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م
١٨) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م
١٩) خصائص القصة الإسلامية، لمأمون فريز جرار، دار المنار، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م
٢٠) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت
٢١) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة،١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م
٢٢) سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت
٢٣) سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م
٢٤) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد ناصر الألباني، دار طوق النجاة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ
٢٥) صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت
٢٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، مكتبة الرياض ، د.ت
٢٧) الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية)، للدكتور وهيب الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، د.ت
٢٨) الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن محمد الجزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٢م
٢٩) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م
٣٠) القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦
٣١) قصص القرآن الكريم، لفضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م
٣٢) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، لفضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م
٣٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، لصلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م
٣٤) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، لعبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت
٣٥) القصة في القرآن الكريم، لمحمود بن الشريف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م

٣٦) القصة القرآنية هداية وبيان، لوهبة الرحيلي، دار الخير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م
٣٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ
٣٨) الكليات ، لأبي البقاء (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق عدنان درويس ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م
٣٩) لسان العرب لابن منظور، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف، وهم عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، د.ت
٤٠) مائة سؤال عن الإسلام ، لمحمد الغزالي ، نهضة مصر ،القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م
٤١) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة،١٤١٠ هـ /١٩٩٠م
٤٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بمكناس، ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩م
٤٣) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان،١٩٨٩م
٤٤) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، تحقيق علي عبد الحميد، دار الفيحاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ
٤٥) المعجزة الكبرى القرآن (نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره، حكم الغناء به)، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي،١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م
٤٦) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق محمد خليل عتياني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨
٤٧) موسوعة القرآن العظيم، للدكتور عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م
٤٨) الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٧م
٤٩) نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان صالح الخراشي، مكتبة النهضة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧م
٥٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن البقاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م
٥١) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن الماوردي، مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ /١٩٩٢م
٥٢) هذه مشكلاتهم ،للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م
٥٣) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، للدكتور محمد محمود حجازي ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م